مفاهيم النقد والالتزام عند الشيخ الندوي قراءة في كتابه "في مسيرة الحياة"

د. ابن عيسى باطاهر - الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية
كلية الآداب والعلوم - جامعة الشارقة

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى دراسة معالم المنهج النقدي في كتابات الشيخ أبي الحسن الندوي، وذلك من خلال عرض آرائه النقدية، وتجربته الأدبية، كما أنّه يقدّم قراءة نقدية لكتابه "في مسيرة الحياة"، الذي يعرض فيه رؤاه ومواقفَه النقدية المختلفة من خلال سرد سيرته الذاتية الممتدة لأكثر من سبعة عقود.

تتمحور مقوّمات الالتزام الأدبي عند الندوي في أربعة عناصر هي: العقيدة، والعاطفة، والصدق، والإخلاص، وهي المقوّمات التي تمنح الأدب صفات التأثير والبقاء والخلود، كما أنّ الأدب في منهجه النقدي رسالة في الحياة، وهو وسيلة من الوسائل المهمّة في بناء النفس الإنسانية وتغييرها ثقافيًا وحضاريًا.

والنقد عنده لا ينفك أيضًا عن الالتزام، لأنّه نابع من ثقافة الناقد المسلم وعقيدته وخصوصيته، وهو وسيلة يُلجأ إليها لتقويم الأدب والفنّ وجعلهما في خدمة العقيدة والدين، كما أنّ كتاب الندوي "في مسيرة الحياة" هو أحد أعماله الأدبية التي يمكن تصنيفها في أدب السيرة الذاتية، وعلى الرغم من اشتماله على تفاصيل تاريخية، ومعلومات جغرافية، وحقائق علمية كثيرة؛ فإنّه سيرة أدبية ممتعة بأسلوبها الجميل المؤثر.

مقدمة:

عُرفَ الشيخ أبو الحسن بن عبد الحيّ الحسني الندوي — رحمه الله — بين العلماء والدارسين بكونه أحدَ رواد الأدب الإسلامي المعاصر دعوةً وتأصيلاً، وكتابةً وتنظيرًا، ونقدًا وتقويمًا، فقد كان أولَ من دعا إلى إنشاء رابطة عالمية للأدب الإسلامي في الندوة العالمية الأولى للأدب الإسلامي التي عقدت بندوة العلماء لكناؤ (الهند) سنة ١٤٠١هـ (١٩٨١م) وقد حضرها عددٌ كبير من الأدباء والمفكّرين والكتاب والمهتمين بالأدب الإسلامي (١)، وعرض الشيخ كثيرًا من الآراء والرؤى النقدية بشأن الأدب الإسلامي ونظريته، ومفهومه، وخصائصه، ووظيفته في الحياة، كما قدّم الشيخُ للمكتبة الأدبية الإسلامية عدّة دراسات جديدة وكتب قيّمة في الأدب العربي الإسلامي مراعيًا فيها تلك الآراء التي أشار إليها (٢).

وقد تجلّت إبداعاته في مجال الكتابة الأدبية في أدب الرحلات والسير، وتميّز حضوره النقدي في مجال التنظير والتطبيق على الشعر والنثر، فكان كتابهُ "روائع إقبال" أول تجربة نقدية في ميدان ترجمة شعرِ إقبال وتقويمه وتقديمه إلى القارئ العربي، وكان كتابُه "مختارات من أدب العرب" — وهو باكورة أعماله الأدبية والنقدية — محاولةً جادّة لنقد الأدب العربي عبر مسيرته التاريخية العامرة، وفضلاً عن ذلك كلّه غلبَ الطابع الأدبي، والأسلوب الشائق على مؤلفاته كلّها، فلا يخلو كتابٌ منها من لمحة أدبية، ونظرات نقدية، وتعبيرات فنية، ونستطيع القول بأنّ الشيخ الندوي مثالٌ فريد للأديب المسلم في هذا العصر.

ولعلّ الذي أكسبه هذا التميّز في أدب اللغة العربية ونقدها "رسوخُه وتمكّنه من العربية، وثقافتُه الواسعة التي جمعت بين القديم والحديث، وضمّت إلى الثقافة العربية الإسلامية الشرقية، الثقافة الغربية الحديثة، وساعدهُ على ذلك معرفته بعددٍ من اللغات التي كانت نوافذه إلى الثقافات المختلفة، فقد كان يعرفُ العربية والأردية والهندية والفارسية والإنجليزية، وقد تجلّى أثر هذه الثقافة الموسوعية في إنتاجه وعطائه الفكري" (٣).

وقد كانت مجالات الدعوة والفكر الإسلامي محلَ عناية الشيخ واهتمامه الأول، فقد صرف جلّ همّته إلى البحث عن الأسباب الموصلة إلى التغيير الحضاري في الأمة الإسلامية،

وذلك بعودة المنهج الإسلامي للتطبيق في الحياة، وكان لكتابه القيّم "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" تأثيرٌ واضحٌ، وصدى طيّب في هذا الاتجاه، فضلاً عن كتاباتٍ ومؤلفاتٍ أخرى كثيرة معروفة بين المثقّفين والمهتمين بالفكر والدعوة الإسلامية، ومع هذا الاهتمام الكبير بقضايا الفكر الإسلامي، فقد ظلّ الشيخ بفطرته المحبّة للأدب، وبحسّه وذوقه النّقدي متابعًا للحركة الأدبية والنقدية، ومساهمًا فيها بإضافاته ونظراته المتأنّية، وكان ممّا جادت به قريحته كتابه "في مسيرة الحياة"، الذي يعرضُ فيه لسيرته الذاتية، وتجربته الخاصّة في الحياة، على الرغم من تردّده في كتابته لعدّة سنوات، وهو كتاب يمثّل خلاصةَ تجربة في الحياة زادت على نصف قرن، وهي شهادة فريدة من شخصية فريدة في فكرها ومنهجها وثقافتها على أحداث القرن العشرين.

وقد جاءت هذه الدراسة لتعرضَ جوانب من آرائه النقدية، ونظرته إلى الأدب والفنّ ودورهما في الحياة، ووظيفة النقد ورسالته في توجيه الذوق نحو الأهداف الإيجابية، والقيم النبيلة، ثمّ لتقدّم قراءة نقدية في سيرته الذاتية "في مسيرة الحياة"، مع محاولة تقويمها ووضعها في مكانها المناسب من هذا النوع من الأدب.

قضية الالتزام في الأدب

إنّ الالتزام مصطلحٌ نقدي حديث ، كان لمذهبي الماركسية والوجودية دورٌ في إشاعته ونشره في القرن العشرين، وهو يدلّ في تراثنا القديم على معاني المسؤولية والرعاية، وأمّا مفهومه على ما تعارف عليه نقاد الأدب حديثًا فهو صدور الأدب عن موقف فكري يتبنّاه صاحبه، ويدافع عنه، إنّه إخلاص الأديب لقضية عقدية، أو سياسية، أو اجتماعية، أو فنية، وصدوره – بوعي كامل، وإحساس متيقّظ مدرك لما تمليه عليه من التصورات والرؤى والأفكار والمشاعر [٤].

والالتزام في المنظور الإسلامي معناه أن يلتزم الأديب المسلم في تعبيره الفنّي بالتصوّر الإسلامي للحياة والكون والإنسان، وأن يكون أدبه رسالة يوظّفها في خدمة الحقّ والخير والقيم

الفاضلة، ومن هنا تأتي أهمّيته الحضارية في هذا العصر التي عُرف بعصر الأيديولوجيات والمذاهب الفكرية المتصارعة، وهو الأمرُ الذي يُوجبُ على الأديب المسلم عرض موقفه ونظرته إلى الأشياء، وهذا الالتزام أمرٌ معروف في الآداب الغربية المعاصرة ولا يمكن أن يتحرّر منه أيّ أديب أو مبدع. يقول الناقد الفرنسي ماكس أوبريت:"ظهر مصطلح أدب الالتزام، أو أدب المواقف نتيجة لتأثير الأيديولوجيات الحديثة في الأدب، التي تعكسُ المتغيّرات الاجتماعية والسياسية لعصرنا، ومن أجل ذلك فإنّ هذه الأيديولوجيات تجبرُ كلّ امرئ منا أن يعيد فحص موقفه نقديًا من العالم، ومسئوليته نحو الآخرين" (٥).

ولكن ينبغي الانتباه إلى أنّ الالتزام الأدبي والنقدي في المنظور الإسلامي لا يعني التعبير المباشر عن الحقّ والخير اللذين يتجسّدان واقعيًا فيما يقدّمه الإسلام من مبادئ ومعايير، وإنّما هو دعوة الأدب إلى مسايرة مبادئ الإسلام ومعاييره وتأكيدها ولكن بطريقة فنية جميلة في التعبير تختلف عن التعبير المباشر المجرّد الذي يحسن في المواعظ والأحكام الشرعية (٦)، كما أنّ "الالتزام بالإسلام لا يعني أن يعيش الأدباء المسلمون إحساسًا واحدًا، واهتمامات متشابهة، وعواطف وتصوّرات وانفعالات نفسية واحدة، إنّ وحدة الفكر لا تعني أدبًا وحدة الفنّ...والمعادلة المتحقّقة من لقاء الاقتناع الإسلامي أو العقيدة الإسلامية بالذات الإنسانية ستتفجّر حتمًا في شكلٍ فنّي جديد، وخيالٍ جديد، ومسارات فكرية جديدة" (٧).

وقد فرّق الدارسون بين الإلزام والالتزام، فالإلزام هو أمرٌ يُفرضُ على الأديب فرضًا، ويُوجّهُ فيه إلى ما قد لا ينسجمُ مع تفكيره، ولا يتجاوبُ مع حسّه وشعوره، ومن هنا يفقد سمةَ التأثير والإقناع (٨)، وأمّا الالتزام فهو أمرٌ طبعي فطري في حسّ الأديب، ومن هنا كان الالتزام الذي تمارسه أيديولوجيات فكرية بأن تلزم الأديب بأفكارٍ وتصوّراتٍ معينة كما شاع في الأدب الشيوعي هو في حقيقته نوعٌ من الإلزام والقسر الذي لا يتناسبُ مع طبيعة الأدب وغايته. يقول عماد الدين خليل في توضيح قضية الالتزام:"هو أن يمتلك الفنان –أولاً– تصوّرًا شاملاً متكاملاً صحيحًا للكون والحياة والإنسان، يوازيه انفتاح وجداني دائم، وتوتر نفسي لا ينضب له معين

إزاء الكون والحياة والإنسان، ومن بعد هذا يجيء الالتزام عفويًا متساوقًا منسابًا، علاقته بالعطاء الفنّي لا تقومُ مطلقًا على القسر والتكلّف والإكراه، ولا تعترفُ أبدًا بالمدرسة الوعظية المباشرة" [٩].

وللشيخ الندوي آراء ونظرات نقدية بشأن الأدب ومقوّماته ووظيفته في الحياة، فالأدب الحيّ في رأيه هو أدب هادفٌ ملتزم جميلٌ، يقول عن مفهومه:"الأدب الطَبعي الجميل هو التعبير البليغ الذي يحرّك النفوس، ويُثير الإعجاب، ويُوسّع آفاق الفكر، ويُغري بالتقليد، ويبعثُ في النّفس الثّقة" [١٠]، و"الأدب الإسلامي في أوسع معانـــيه هو تعبيرٌ عن الحياة، وعن الشـــــعور والوجـــــدان في أســـــلوب مُفهم مُؤثّـــــر لا غير" [١١].

فمقوّمات الأدب من الجوانب الشكلية — في رأيه — هي البعد عن الصناعة والتكلّف، والتعبير بالأسلوب الجميل البليغ، ومن ناحية المضمون الالتزام برسالته التأثيرية والتوجيهية في التعبير الصادق النابع من الوجدان عن قضايا الحياة المختلفة، وذلك بما يحمل من مضامينَ وقيم هادفة، وهذا الالتزامُ هو الذي جعل الأدبَ من أكبر الوسائل للوصول إلى الأهداف النبيلة، والتأثير في النّفس الإنسانية، وليس أداةً للتّسلية وقتل الوقت فحسب كما يفهمُ بعض النّاس [١٢].

وتتمحورُ مقوّمات الالتزام عند الشيخ الندوي في أربعة عناصر هي: العقيدة، والعاطفة، والصدق، والإخلاص، وهي المقوّمات التي تمنح الأدب صفات التأثير والانتشار، والبقاء والخلود، فالسرّ في بقاء تلك الكتابات الأدبية أو العلمية القديمة وفضلها يعود إلى كونها كُتبت عن عقيدةٍ وعاطفةٍ، وعن فكرةٍ واقتناعٍ، وعن حماسةٍ وعزمٍ [١٣]، وأمّا عن عنصري الصدق والإخلاص فيقول:"إنّ من أهمّ عناصر الأدب الإخلاص والصدق، وهما اللذان ظلّ يتغافلُ عنهما معظمُ نقاد الأدب، واللذان يهبان الأدب روحـــــــًا وقوّةً وحيويـــةً، ويجعلانه حقيقةً أبديةً خالدةً" [١٤].

والالتزامُ ليس قيدًا على حرية الأديب، كما يعتقد دعاةُ التحرّر في الأدب والفن[١٥]، بل هو جوهر الأدب ومَيزته، وروحه التي تأتي منها قيمتُه وخصوصيتُه، "وإنّ ربط الأدب الذي ينتجه الأدباء المسلمون بالعقيدة أمرٌ لا يشكّل أي خروجٍ عن طبيعة الأدب، بل إنّه يصحّح مسار العلاقة بين الأدب والعقيدة، فيربطه بأصدق عقيدة، ويهيئ له أوسع مجالٍ للتصوّر وأدقّه، وأكثر تلاؤمًا مع الفطرة البشرية، ونظريةُ الأدب الإسلامي عند تقنينها بشكل عام مسترشد إلى المعتقد الذي لا يسلّط عليهم سيف الإلزام، ولا يحملهم على موضوعٍ محدّد، بل إنّه بشموله واستيعابه لدقائق الحياة، يهيئ أرضيةً صالحة لنمو الأدب"[١٦].

ومن أجل ذلك كان الأدبُ في تصوّر الشيخ الندوي كائنًا حيًّا له قلبٌ حنون، وله ضميرٌ واعٍ، وله نفسٌ مرهفة الحسّ، وله عقيدة جازمة، وله هدف معيّن، يتألم بما يُسبّب الألم، ويفرحُ بما يثير السرور، فإذا لم يكن الأدب كذلك فإنه أدب خشيب جامد، أدب ميّت خامد، أشـــــــبه بالحركات البهلوانية، والرياضات الجمبازية [١٧].

وظيفة الأدب في الحياة

الأدبُ في منهج الشيخ الندوي رسالةٌ في الحياة، وهو وسيلةٌ من الوسائل المهمّة في بناء النّفس الإنسانية وتغييرها وتحضّرها، وتمكينها – كذلك – من تجاوز السلبيات وعوامل الغثائية والعجز، وقد عبّر عن هذا البعد الوظيفي للأدب بقوله:"حاجتُنا وحاجةُ هذا العهد، وحاجةُ العالم العربي بصفة خاصّة، هي الأدب الهادف السليم، الدافق بالحيوية، المتدفّق بالقوّة، الذي يحمل رسالةً ساميةً سماويةً، إنسانيةً إسلاميةً عالميةً" [١٨].

فوظيفة الأدب الملتزم بالتصوّر الإسلامي للحياة هي حملُ قيم الخير والعدل والجمال، وقضايا الفكر والعلم والثقافة السليمة لتوصيلها إلى قلوب النّاس وعقولهم، ومزجها بسلوكهم وثقافاتهم، وذلك للإسهام في نهضة الأمّة ورقيّها الحضاري [١٩].

وقد دعا الشيخُ الندوي الدارسين والمهتمين بالأدب والنقد إلى العناية بدور الأدب ووظيفته التربوية والحضارية الخطيرة، فهو الذي يستطيع أن يُغيّر الاتجاه من السقيم إلى السليم، ومن سيطرة الأهواء والغرائز إلى سيطرة الأخلاق والقيم النبيلة، ومن الاستسلام للكسل والكساد والخمول إلى الحرص على العمل والنشاط والفاعلية، إذ الخروج من هذا المأزق الحضاري للأمّة — في رأيه – يقتضي الاستعداد الروحي، والاستعداد الصناعي والحربي، والاستقلال التعليمي، فليست القيادة بالهزل، إنّما هي جدّ الجدّ، وتحتاج إلى جدّ واجتهاد، وكفاح وجهاد [٢٠].

الدعوة إلى النقد الإسلامي

قدّم بعضُ الأدباء والمفكرين المعاصرين جهودًا قيّمة لتأصيل خصائص المذهب الإسلامي في النقد، مثل الأخوين الأديبين سيّد ومحمد قطب، والأديب نجيب الكيلاني، والناقد الأديب عماد الدين خليل، وكان الشيخ الندوي – أيضًا – في طليعة الأدباء والنقاد الداعين إلى النّقد الإسلامي، فقد دعا في بعض كتبه – بإيجاز وعمق – إلى النقد الإيجابي الذي ينبغي أن يحرّر الطبقة المثقّفة في العالم الإسلامي من أفكار المستشرقين، ونظريات الغربيين، فقال:"أمّا بدون الجمع بين هذا العمل الإيجابي – الذي يقتضي تأليف كتب تحليلية، وأبحاث عميقة حول المواضيع الإسلامية مع الإحالة إلى المصادر بضبط وإتقان، والفهارس المفصّلة المفيدة المتنوّعة... وكلّ ذلك مع تحرٍ للدّقة والوجـــازة، والبعد عن التنميق والاســـتطراد – وبين العمل العلمي (أي النقد) وهو المحاسبة العلمية في أسلوب علمي نزيه، وكلام وقور رزين، ولفظ موزون، بعيد عن التهكّم والتنكيت، والتجنّي والافتراض، فإن كلّ ذلك يفقد النّقد قيمته العلمية ووقعه النّفسي، وبدون الجمع بين هذا وذاك، لا تتحرّر الطبقة المثقّفة في العالم الإسلامي من تأثير المستشرقين المسمومة، وسيطرتهم العلمية." [٢١].

فالموضوعية هي أبرز صفات النقد الإسلامي، فضلاً عن الدقّة والوضوح، والإنصاف والأسلوب المناسب. وهي الصفات التي تُكسب النقد قيمته وتأثيره بعد تبنّيه لمبادئ الإسلام ورؤيته للحياة. وهذه النّظرات هي الأساس الأول لصياغة رؤية نقدية إسلامية تعيد للنّقد رسالته الإيجابية، وليكون بديلاً عن كثير من النظريات النقدية الغربية التي أثّرت في اتجاهات النقد العربي الحديث، ذلك أنّ منطق الفكرة الإسلامية في ميدان الفنون جميعًا – والنقد واحد منها – قائمٌ على أسس التصوّر الإسلامي ومقوّماته حول الله والحياة والإنسان، ومن هنا فإنّه لا بدّ أن يكون للنّقد الفني في الرؤية الإسلامية تميّزاً وخصوصية، لأنّه مبنيٌ على الالتزام بقيم الإسلام وثوابته التي تسعى إلى الإيجابية والفاعلية في الحياة، وينأى عن العبث والضياع، والعدمية والإفلاس، كما هو الحال في بعض المدارس الغربية مثل المدرسة الجمالية ومدرسة "الفنّ للفنّ".

وظيفة النقد ورسالته

إن النّقد في الرؤية الإسلامية الشاملة رسالة تعليمية وتوجيهية (٢٢)، وهو شريك الفنون والآداب في تربية الذوق السليم وتنميته لدى النّاس، فهو يمدّهم بالغذاء الفكري والروحي، ويُشركهم في الفائدة الممزوجة بالمتعة، ويُدخلهم في عالم الأفكار المُوجِّهة للهمم نحو البناء لا الهدم، ونحو التربية لا الإفساد، ونحو قيم الخير والأخلاق والإيجابية في الحياة، لا قيم الفلسفات المادية، والثقافات المنحرفة.

فالنقد في المنهج الإسلامي نقدٌ ملتزم، وهذا الالتزامُ نابع من ثقافة الناقد المسلم وتصوّره وخصوصيته الحضارية، وهو وسيلةٌ يُلجأ إليها لتقويم الأدب والفن وجعلهما في خدمة الدين والعقيدة، وتقويم السلوك الإنساني في مجالات الإبداع الأدبي والفني.

والنقد التطبيقي الذي يتناول الأعمال الأدبية المتنوّعة إسلامية و غير إسلامية بمثل هذه الرؤية، هو الذي ينبغي أن يتحقّق ويسود في مجتمعاتنا لإزالة كثير من الشبهات والعلل العالقة في الطريق، وكشف العيوب والأخطاء التي تعرضها النظريات الغربية الحديثة، وهذا هو الذي أشار

إليه الشيخ الندوي في دعوته إلى النّقد الإسلامي بالمنهج العلمي الذي يُحسن التعامل مع النظريات والثقافات الغربية، حيث قال:" لقد مضى علينا قرنٌ كامل وأوربا تغتصبُ شبابنا وعقولنا، وتُنبتُ في عقولنا الشكّ والإلحاد والنّفاق، وعدم الثقة بالحقائق الإيمانية والغيبية، والإيمان بالفلسفات الجديدة الاقتصادية والسياسية، ونحن مُعرضون عن مقاومتها، معتمدون على ما عندنا من تراث، مضربون عن الإنتاج الجديد، معرضون عن فلسفتها ونُظمها ومحاسبتها محاسبةً علميةً، ونقدها وتشريحها كتشريح الأطباء الجراحين، متعلّلون بالبحوث السطحية المستعجلة، وبالزيادة في ثروتنا العلمية، حتى فُوجئنا في العصر الأخير بانهيار العالم الإسلامي في الإيمان والعقيدة، ومَلكَ زمام الأمـــور في البلاد الإسلامية جيلٌ لا يؤمن بمبـــادئ الإسلام وعقيدته" (٢٣). ووظيفة النقد الإسلامي ورسالته المنتظرة هي — أيضًا – في تقويم اتجاهات النّقد الحديث التي تحوّلت في كثير من المواقف إلى نوع مقيت من الدعاية والإعلام، وأصبحت ميداناً للجدال المذموم، ومعولاً لهدم الثوابت الدينية، وتشويه القيم الأخلاقية.

وقد أشار الشيخُ الندوي — وهو الأديب المسلم، والناقد الملتزم- إلى تحديد هُوية النّقد، وعدّه وسيلة من الوسائل المهمّة التي يلجأ إليها لأداء وظيفةٍ سامية في المجتمع، ذلك أنّ الفنون جميعها — كما يرى – وسائل ينبغي أن يكون هدفها بعث الحياة والروح المتجدّدة في النفوس الخامدة، والقلوب الجامدة، وهذه فكرة حضارية تُبرز رغبة الشيخ في التغيير، وطموحه وتفاؤله بالمستقبل، وهو الحريص دائماً على إعادة الأمة الإسلامية إلى مركز القيادة والسيادة كما ذكر ذلك في كتابه "الطريق إلى السعادة والقيادة للدول والمجتمعات الإسلامية الحرّة" حيث قال: "إنّ الأدب والشعر، والفنون الجميلة، والحكمة والفلسفة، والتأليف والتصنيف، ليس من وراء كلّ ذلك إلاّ غرض واحد، وهو أن تتولّد في صاحبه حياةٌ جديدةٌ، وإيمانٌ جديدٌ، وبالتالي في الأمة الإسلامية التي هو عضو فيها، والمجتمع الذي هو جزء منه" (٢٤).

إنّ الأدب الإسلامي وسيلة فعّالة لتكوين أجيالٍ مسلمة صحيحة العقيدة، سليمة الفكر، قويمة السلوك (٢٥)، والنقد الإسلامي رافدٌ آخر مهمّ في توجيه هذا الأدب وتقويمه، وترشيد

مسيرته، ولكن ينبغي ألاّ نقلّل أبدًا من أهمّية الشكل والأداء الفنّي، لأنّ الأدب الذي يؤثّر بشكله الجميل وأسلوبه البارع ينقُلُ إلى الأذهان والقلوب والنفوس مضامينَه الفكرية والتوجيهية غالبًا، ومن أجل ذلك يستخدم الكتاب المنحرفون والمفسدون في الأرض الآداب والفنون جسورًا مغريةً جذّابة لتوصيل أفكارهم ومذاهبهم إلى من يريدون صيده، فيصيدونه ويضمونه إلى جنودهم وهو مفتون بالصور الجمالية والألوان والزخارف الفنية (٢٦).

أثر القيم في النقد التطبيقي

إنّ الحديث عن القيم ومسألة حضورها في النّقد يجعلنا نشير بداية إلى أنّ موضوع القيم له حضورٌ قويٌ في الأفكار والفلسفات والآداب المتعلّقة بنهضة المجتمعات وتطوّرها في منظور كثير من المفكرين الغربيين والمسلمين، ذلك أنّ قضية القيم ذات علاقة مباشرة بالمجالات الروحية والثقافية والحضارية، وغيرها من المجالات الحيوية في الحياة.

ويتمثّل جوهر المشكلة التي يعرض لها بعض المفكرين الغربيين على وجه الخصوص في ما يسمّى بـــ"وحدة منظومة الحضارة الغربية"، وهي أنّه لا يمكنُ رفض فكرها المادي وقيمها الخلقية النّفعية والأخذ بتقنيتها العلمية فقط، وأنّه إذا أراد المسلمون التقدّم العلمي والصّناعي من منظومة الحضارة الغربية، فلا بدّ لهم من الانخلاع عن شخصيتهم الحضارية، وقيمهم الروحية والخلقية، والاندماج كلّياً في بوتقة الحضارة الغربية، إذ ليس بإمكانهم القيام بعملية انتقائية، لأنّ غياب القيم التي ولدت العلم والصناعة المتقدّمة، سيكون عائقًا أمام تجاوز التخلّف والركود، وسيحول دون الإنجاز المطلوب (٢٧).

فالقيم الإسلامية –في نظر فـــيبــــر وغيره– هي المعوّقات الأساسية للنّمو الحضاري في البلاد الإسلامية، وخاصّة في جوانبها المادية والاقتصادية، وهذا الأمرُ يرفضه الواقع التاريخي للأمّة الإسلامية، وترفضه تجاربُ العصر الحاضر، عند بعض الدول كاليابان ودول شرق آسيا

الناهضة، وهي متمسّكة بقيمها الأخلاقية والثقافية، ولعلّ الانفصام بين الأمّة وقيمها الإسلامية هو أبرز عوامل التخلّف والركود في كثير من المجتمعات الإسلامية الحديثة(٢٨)، وقد تناول الشيخ الندوي هذا الموضوع في جلّ كتاباته، وما من مناسبة أو حديث إلاّ وتجد له دفاعًا قويًا عن القيم والأخلاق والمبادئ الإسلامية وأثرها في الحياة الإسلامية.

ويرى الشيخ أنّ نظام التعليم الغربي بمناهجه المجافية للقيم والأخلاق، قد أثّر سلبيًا في البلاد الإسلامية بما أحدث من فوضى فكرية هائلة، واضطراب وتناقض في الأفكار والآراء، وشكّ وارتياب في الدين، واستخفاف بفرائضه وواجباته، وثورة على الآداب والأخلاق، وضعف وانحطاط في الأخلاق والسلوك، وتقليد للأجانب في القشور والظواهر(٢٩).

والمناهج التربوية ترتبط ارتباطاً وثيقاً برسالة النقد ووظيفته الخطيرة في تمحيص المواد، واختيار النصوص، وبلورة المفاهيم وتقويمها وفق المنهج الإسلامي، ونقدها بميزان القيم الروحية والمبادئ الأخلاقية المنبثقة من ثقافة الأمّة. وقد أشار الشيخ إلى ضرورة وضع مناهجَ للتعليم تقوم على أساس النقد الإسلامي للعلوم والكتب، مع مراعاة أن تدوّن هذه العلوم من جديد تدويناً إسلامياً، وتُؤلف فيها كتب مبتكرة، وتُشبع بالروح الدينية، وتُستخرج منها نتائج لا تعارض الدين (٣٠).

ويقول عن أهمّية القيم في التربية والتعليم:" والحاصل أنّنا في البلاد الإسلامية في حاجة ملحّة إلى نظام تعليمي إسلامي في الروح والوضع، والسبك والترتيب، بأن لا يخلو كتاب من الكتب التي تعلّمُ مبادئ اللغة إلى آخر كتاب يُدرّس في العلوم الطبيعية أو الآداب الإنجليزية من روح الدين والإيمان، هذا إذا أردنا أن ينشأ جيلٌ جديدٌ يُفكر بالعقل الإسلامي، ويكتبُ بقلم مسلم" (٣١).

وحين تحدّث عن الإسلام وموقعه من الحضارة الإنسانية، دعا إلى القيام بدراسة نقدية عميقة لتاريخ الشعوب والأمم والبلاد والمجتمعات، وذلك لمعرفة خصائص الحضارة الإسلامية وقيمها، للاهتداء بها في تغيير العقيدة وإصلاحها، والقضاء على آثار الجاهلية والفلسفات

والوثنية والتقاليد الموروثة، وتحويل تيارات الفكر من وجهة إلى وجهة، وتغيير الاتجاهات في القيم والمثل [٣٢].

ولن تتحقّق هذه الوظيفة المهمّة إلاّ بالقضاء على الأزمة الروحية والأخلاقية داخل جسم الأمة الإسلامية، وقد عبّر عن ذلك في كتابه (ربانية لا رهبانية) حيث قال:" انظر إلى بلادٍ ضَعُفت فيها الدعوة إلى الله والربانية، وتزكية النّفوس من زمان، ونَدر فيها وجودُ الدعاة إلى الله، وتجديد الصّلة بالله وإصلاح الباطن، بنفوذ الحضارة الغربية أو للقرب من مركزها، أو بفـــعل عوامل أخرى، إنّك تشعر فيها بفراغ هائل لا يملؤه التبحّر في العلم، ولا التعمّق في التفكير، ولا فضل من ذكاء، إنّها أزمة روحية وخُلقية لا عـــلاج لها، ومشكلة من أدقّ مشكلات المجتمع لا حلّ لها ...ولا علاج لكلّ ذلك إلاّ في التزكية النّبوية التي نطقَ بها القرآن، وبُعث لها الرسول، وفي الربّانية التي طُولب بها العلماء ﴿ولكن كُونُوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون﴾ (آل عمران: ٧٩) [٣٣]. ولعلّ من أهمّ الشروط التي تحقّق هذه الغاية صدق الانتماء إلى الإسلام، يقول أحمد بسام ساعي:"إنّ سبيل الخلاص من مأزق الازدواجية الفكرية العاطفية هو صدق الالتزام بالإسلام" [٣٤]

لقد عُني الشيخُ الندوي بالقيم الأخلاقية والمبادئ الإسلامية في الدعوة إلى الله، وفي الأدب والنقد، وغير ذلك من وسائل التربية والتعليم والتوجيه، ودعا إلى النقد الهادف الذي يؤدي دوره في تربية الذوق، وتجديد الروح، وتصحيح المفاهيم، وردّ الشبهات، وتقويم السلوك، وبناء الشخصية الإسلامية المؤمنة التي تستطيع أن تؤدي دور الشهادة على النّاس بقيمها الخُلقية والدينية والحضارية.

قراءة في كتاب (في مسيرة الحياة)

تُعدُّ السيرة الذاتية أحدَ أصدق فنون الأدب، وأكثرها تأثيرًا وانتشارًا بين النّاس، وأتّفق تمامًا مع الناقد إحسان عباس في " أنّ هذا الفنّ يتناول جانبًا من الأدب العربي عامرًا بالحياة، نابضًا بالقوّة، وأنّه يصلُ أدبنا بتاريخ الحضارة العربية، وتيار الفكر العربي، والنّفسية العربية، لأنّه

صورة للتجربة الصادقة الحيّة التي أخذنا نتلمّس مظاهرها المختلفة في أدبنا عامة" (٣٥).

وليست السيرةُ الذاتية حديثًا عن النّفس هدفُه التبجيل وتدوين المفاخر، أو غرضهُ التعبير عن قصّة خيالية بعيدة عن الواقع، وإنّما هي تعبير بأسلوب خاصّ، ومنهج مستقل عن تجربة إنسانية مميّزة، ومن ثمّ كنّا نستسيغها ونجد فيها الفائدة والمتعة الحقيقية، لأنّ الذي يكتب عن نفسه يهدفُ — في الغالب – تحقيقَ غاية هي أسمى من البحث عن الشهرة والمدح والثراء.

وليست السيرةُ الذاتية من الأدب المستمد من الخيال، وإنّما هي نوعٌ من الأدب الواقعي الذي يفسّر الحياة، وهي فنٌ يقوم أساسًا على خطة و منهجية في الشكل والبناء، و"هذا النوع من الأدب كالأدب الذي يخلق خلقًا، من حيث إنّ صاحبه معنيٌ بغاية محدودة تهديه في اختياره وترتيبه للحقائق، وهو كالراوي والقاصّ أيضًا، يحاول أن يكشف عن الصراع بين بطل سيرته والطبيعة، وصراعه مع النّاس الآخرين ومع نفسه، وهو يحـــاول أن ينقل إلى القراء حقيـــقة ذات قبول عام، ولكنّه لا يستطيع أن يُحكم خياله في أجزائها، وبدلاً من أن يقف موقف الخـــــــــلاّق، تراه يقف موقف المستكشف المفسّر لأشـــياء وأشخاص وُجدوا في الحقيقة" (٣٦).

وللسيرة الذاتية في الأدب العربي جذورٌ ممتدة في بعض الكتابات القديمة، كتلك التي غلب عليها الطابع التاريخي والأسلوب التلقيني المباشر، ولعلّ من أشهرها قبولاً بين النّاس المنقذ من الضلال لأبي حامد الغزّالي، وطوق الحمامة لابن حزم الأندلسي، وكتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ، أمّا في العصر الحديث فقد تطوّر هذا الفنّ كثيرًا على أيدي بعض الأدباء الذين استفادوا من كتابات الغربيين في هذا المجال، وكانت سيرة طه حسين الأيام، وسيرة أحمد أمين حياتي من أفضل السير الأدبية رواجًا وقبولاً بين الدارسين ونقاد الأدب (٣٧).

ويمكن أن نصنّف سيرة الشيخ الندوي في مسيرة الحياة مع تلك السير الأدبية والتاريخية التي حظيت باستحسان الأدباء والنقاد، والقراء عامّة، فهي سيرة أدبية ممتعة حتى وإن اشتملت

على تفاصيل تاريخية، ومعلومات جغرافية، وحقائق علمية كثيرة، ذلك أنّ الطابع العام الذي عُرضت به طابعٌ أدبي خالص هدفه نقل التجربة الحياتية العامرة بالأحداث بأسلوب جميل مؤثر.

والقارئ لسيرة الشيخ يشعرُ أنّه يتصفّح حياةَ رجلٍ من السلف الصالح، لما يجدُه فيها من غزارة العطاء، وحرارة الإيمان، ووضوح الهدف، وجمال الأدب، ونبل الأخلاق.

وقد عُرف الشيخ بين النّاس ببعده عن التكلّف والتزوير، وحبّه للبساطة في كلّ شيء، وقد استكملت فيه مزايا الداعية الإسلامي في هذا العصر... وكان أسلوبه في الدعوة قائمًا على بثّ الأفكار، وتوجيه النّاس عن طريق وسيلة التعليم، وهي أصدقُ الوسائل في الدعوة إلى الله (٣٨).

ولعلّ من الإشارات النقدية القليلة التي اهتديت إليها في نقد سيرة الشيخ الندوي ما كتبه الشيخ علي الطنطاوي في تقديمها إلى القراء، حيث قال:"لقد قرأتُ مذكّرات كثير من أدباء العصر ممن سار فيها مع السنين، وجاء بها مرتبةً ترتيب الأيام في مجرى الزمان كأحمد أمين، ومن أخذ منها مواقف فصّلها تفصيل الأديب، وعرضها عرض المنشئ البليغ، كطه حسين، ومن أخذ ممّا رأى وما سمع مشاهد علّق عليها، وإن لم يستوف عناصرهـا، ولم يجمع أطرافـها كمحمد كرد علي، أمّا أخونا الأستاذ أبو الحسن، فقد جمع في سيرته بين الحديث عن أصله ومنبته، وعن بلده وبيته، وعن تحصيله ودراسته، وعن أصحابه وتلامذته، فلم يدع شيئًا إلاّ قاله" (٣٩).

وقال أيضًا :"كتابُ الأستاذ أبي الحسن ليس سردًا لأحداث حياته، ولكنّه كتابُ تاريخ، وكتابُ أدبٍ فيه وصفٌ للأمكنة كأنّك تراها، وكتابُ علم فيه ذكر العلماء ومجالس العلم، وسجلٌ اجتماعي فيه وصف عادات النّاس وأوضاعهم في الهند" (٤٠).

ويتضمّن هذا النّقد مجموعة من الأحكام النّقدية الموجزة تشتمل على إشارات بارعة إلى مواطن القوّة في السيرة، فالسيرة كتابٌ جامع للكثير من الحقائق والأحداث التاريخية والاجتماعية والثقافية التي عايشها المؤلف، وبعضٌ منها – مع أهمّيتها عند الكاتب – أوجدت

عنصر الإطالة في السّرد، الذي لم يَعد الذوق الأدبي يميلُ إليه في هذا العصر المتسارع. والسيرة كتابٌ في الأدب من حيث طريقة عرضه، وبراعته في الوصف، ورسم الأشياء والأمكنة والأشخاص، فضلاً عن التعبير الجميل عن العواطف والانطباعات الخاصّة.

دوافع ومبرّرات

حدّد الشيخ أهدافه من كتابة سيرته بعد تردّدٍ لازمه لسنواتٍ عديدةٍ، وذلك بعد إلحاحٍ من زملائه وبعض قرائه ومريديه، وبعد أن ثبتت في نفسه أهمّيةُ هذا العمل في نفع النّاس وتعليمهم، وجدواه في توصيل الأفكار والمشاعر، والتجربة الصادقة الغنية التي تمتدُ لقرن من الزمان تقريبًا.

وذكر الشيخ الندوي أنّه وجد حرجًا شديدًا في تأليف سيرته، فقد أنفق حياته في الكتابة عن حياة المصلحين والعلماء المجدّدين وعباد الله الصالحين، وبيان مآثرهم وأعمالهم الجليلة، فكيف يستقيم له الحديث عن نفسه بشيءٍ من المدح والإطراء، ويهيئ بذلك الأسباب لنقده وذكر معايبه، ولكنّ الشيخ الداعية الأديب قدّرَ باجتهاده وإخلاصه أنّ المصلحة المبتغاة من هذا التأليف ستكون كبيرة، وهذا الاجتهاد هيأ له قدرًا كبيرًا من الدوافع والمبررات لإنجاز هذا العمل وإتمامه ونشره بين الناس، وقد ذكر في مقدّمة كتابه سببين رئيسين دفعاه إلى هذا العمل هما:

أولا: إنّ الأشياء التي شاهدها في حياته، والتجربة الغنية التي عاشها خلال فترة طويلة من عمره جعلته مؤمنًا بضرورة نقلها إلى الآخرين في شكل قصة متواضعة، ذلك أنّ الحقائق الجليلة — في رأيه – لو مرّت بالقراء ضمن قصة حياته لكانت زادًا للعبرة والعظة، ودافعًا إلى علوّ الهمّة والطموح، وتعليق الرجاء بالله تعالى وحسن الظنّ به، ولا يتيسّر توصيل هذه الحقائق والعظات والعبر في مقال علمي رزين، أو خطاب ديني جليل كما يتيسّر في قصة ساذجة، وحكاية مرسلة عن النّفس وأحداثها ووقائعها [٤١].

ثانيًا: إنّ هناك الكثير من المواضيع والأحداث والوقائع، والمؤسّسات والحركات والشخصيات، والبيئة والأعراف والتقاليد، ونظام التربية السائد في البيوتات، لا يتيسّر الحديث عنها إلاّ في تضاعيف قصة عامرة بمذكّرات رحلة الحياة، ولو أُلقي الضوء على كلّ واحد منها بصورة منفردة مستقلة لاحتاج ذلك إلى مجلّدات مفردة، فضلاً عن المسؤوليات التاريخية، والالتزامات في التأليف التي قد تحول دون تناول كثير من الحقائق، ولباب الحديث الذي يسهل إيراده في قصة الحياة الشخصية في غير ما تكلّف واهتمام (٤٢).

وأضاف أيضًا أنّ من الدوافع إلى كتابة سيرته أنّه سيجد من خلال هذا العمل فرصة طيّبة لبيان عقليته وتفكيره وتطوّرهما، وتاريخ الإنشاء والكتابة والتأليف في حياته، وأهمّ الأحداث والوقائع، والحركات والدعوات في عهده، ولعرض آرائه وأفكاره، ومشاهداته وانطباعاته، ودعوته ومنهجه بصورة مختصرة، وعرض النقاط الأساسية الرئيسية من كتاباته ومؤلفاته، وتقديم مقتطفات مهمّة منها، وهي منشورة مبعثرة في كثير من المقالات والمحاضرات والمؤلفات، وليس من اليسير أن يقف عليها من يريد الاطلاع على آرائه فيها في وقت واحد (٤٣).

فالشيخ كما يبدو حريصٌ على تقديم شهادته عن القرن الذي عاشه بهدف الانتفاع بالدروس وتجارب الحياة، والاعتبار بالحوادث، وإشراك القراء في التأمّل واستخلاص النتائج الصحيحة من الحوادث الماضية، والابتعاد عن الأخطاء والعثرات، ومشاهدة آيات الله وسننه في الأنفس والآفاق والكون.

التأثر بالنماذج السابقة

تأثّر الشيخ الندوي بسير ذاتية حديثة كان في مقدّمتها سيرة الأديب أحمد أمين المعروفة بـ "حياتي"، وقد ذكرها وأشاد بها فقال:"صدرت كتبٌ ذات قيمة أدبية وتاريخية في هذا الموضوع بأقلام الكتاب والأدباء العرب المعروفين، يحتل فيها كتاب مؤلف سلسة "فجر

الإسلام"، و"ضحى الإسلام"، و"ظهر الإسلام" الدكتور أحمد أمين بعنوان "حياتي" مكان الصدارة والرجحان، الذي لا يتناول أحداث حياته وقصّتها فحسب، بل يصوّر مجتمع عصره ومدنيته، ونظام التربية والتعليم فيه، وحياة مصر كلّها في عهده" (٤٤).

ولعلّ ممّا حفّز الشيخ على هذا العمل، وبعث فيه الهمّة والعزيمة تأثّره الكبير بسير تاريخية من تأليف بعض شيوخه وأساتذته في الهند، منها كتاب "نقش حياة" لشيخ الإسلام السيد حسين أحمد المدني، وسيرة شيخ المحدثين في الهند محمد زكريا الكاندهلوي، وسيرة الأستاذ الأديب الشيخ عبد الماجد الدريابادي التي تمتاز بأسلوبها الفريد، وتثير العظة والاعتبار، وتعلّم الأدب والسلوك (٤٥).

وتبدو مظاهر التأثر بالسير السابقة في المضامين الفكرية، والأهداف الدعوية، فكلّ أولئك الذين سبقوه هم من العلماء العاملين في مجالات الفكر والدعوة الإسلامية، ومن هنا اتّفقت الأهداف، وتشابهت الرؤى، وأمّا تأثير سيرة "حياتي" لأحمد أمين؛ فتبدو واضحةً في كثير من المواطن، وخاصّة في جانب الأسلوب الأدبي الممتع، وقد كان الشيخ الندوي مؤمنًا بأنّه قد تتحوّل حياة فرد – إذا كان لا يعيش في دنيا الأحلام والرؤى وقد وهبه الله تعالى شعورا حيًّا بالأوضاع والظروف، والبيئة والجو، وصلاحية التأثر بها والتجاوب معها، وملكة العرض والكتابة عنها – تصويرًا صادقًا ناطقًا لعهده، وذكرى حيّة له، وقد يعثر فيها المؤرخ والمؤلف على تلك المواد والموضوعات المفيدة، التي قد لا يجدها في كتب التاريخ التقليدي، وحياة العباقرة المليئة بالبطولات (٤٦).

نقد السيرة من ناحية المحتوى

لعلّ من أسباب تلقّي النّاس لسيرة شخص ما بالرضا والقبول حبّهم لمضمونها الهادف، أو لوجود علاقة وجدانية وفكرية بينهم وبين الكاتب، أو لاستجابة أذواقهم لهذا العمل نظرًا لأسلوبه الأدبي المؤثر، وأمّا إذا كان هذا الشخص عالمًا أو ذا مكانة خاصّة في المجتمع، فقد تكتمل لسيرته الذاتية جميع أسباب النّجاح والتأثير.

ويصوّر الشيخ الندوي في سيرته مرحلةً امتدت لأكثر من سبعة عقود، ولذلك كان اختياره للحوادث المهمّة في حياته التي رأى أنّها أضافت إلى تجربته في الحياة شيئًا ما له قيمة في مجال العلم والعمل، وهو حريصٌ على ذكرها، وذكر تأثيره ومشاركاته الفاعلة في تلك الأحداث مع ما يسري في ثناياها من توجيهاتٍ دعوية، وقيم إيمانية، ورؤى حضارية.

وتسري في السيرة روح إيمانية واضحة، تجعل لها موقعًا بارزًا في سلسلة الأدب الإسلامي الهادف إلى بناء النّفس المسلمة وتغييرها حضاريًا، وبعث العزيمة والهمّة العالية في تلك النفوس الراكدة وتوجيهها عقديًا وسلوكيًا، وستكون هذه الروح حافزًا لكثير من الأدباء نحو التقيّد بمبدأ الالتزام في الأعمال الأدبية، وضرورة الاهتمام بالمضمون الهادف باعتباره عنصر الجمال الأول في الإبداع الأدبي.

ولا تغفلُ السيرةُ جانب القيم الحضارية الموروثة التي ما زالت سائدة في المجتمعات الإسلامية، وخاصّة في شبه القارة الهندية، تلك البلاد التي عُني الشيخ باستجلاء مآثرها الإسلامية، وقيمها الإيجابية، ورحلتها الحضارية الممتدة لقرون، فالحضارة الإسلامية الهندية التي ظهرت بفضل المسلمين وتفاعلهم مع هذه البلاد، -كما يرى -"حضارة تمتاز بالروعة والجمال، والتواضع والبساطة، والسهولة والصّلابة، والعمق والسّعة، والرقّة والقوّة، والاستقامة والسماحة، إنّها تجمع في دائرة نفوذها بين الحكمة والفلسفة والشريعة، وبين الأدب والشّعر، والفقه والتصوّف، وبين سلامة الذوق، ولطافة الحسّ، وإنّ مجالات عملها ونشاطها تجمع بين القلاع الحصينة، والمكتبات العامرة، والمدارس والزوايا، ومراكز البحث والتحقيق، ونوادي الشعر والأدب، إنّها حضارة تتّسم بالثّقة والجدّ، والدعابة وخفّة الروح، إنّها تملك الشدّة واليسر، وقوّة المراس ولين الجانب، وإنّ وسيلة إبدائها لخواطرها وآرائها، ونبوغها وكمالها، اللغة العربية، والفارسية، والأردية، والهندية" (٤٧).

ويبدو تأثير الشاعر الإسلامي الكبير محمد إقبال واضحًا في حياة الندوي وسيرته العامرة، فقد كانت شخصية إقبال العلمية والأدبية تثير في نفسه الإعجاب لأسباب تحدّث عنها مرارًا،

وهي ترجعُ في الغالب إلى موافقةٍ في الهوى والتعبير عن النفس، فالإنسان إنّما يحبُّ نفسه ويطوف حولها، ويعيش فيها، وقد أحبّ شعر إقبال لأنه يوافق هواه، ولأنّه شاعر يعبّر عن الطموح والحبّ والإيمان، وقد تجلّى هذا المزيج الجميل في شعره وفي رسالته أعظم ممّا تجلّى في شعر شاعر معاصر، وقد رأى نفسه قد طُبع على الطموح والحبّ والإيمان، وهي المعاني التي تندفع اندفاعًا قويًا إلى كلّ أدب ورسالة يبعثان الطموح، وسموّ النّفس، وبعد النظر، والحرص على سيادة الإسلام، وتسخير هذا الكون لصالحه، ويبعثان على الإيمان بالله تعالى والإيمان بمحمد — صلى الله عليه وسلم — وبعبقرية سيرته، وخلود رسالته، وعموم إمامته للأجيال البشرية كلّها (٤٨).

ويبدو هذا التأثير واضحًا في نقده المتكرّر للحضارة الغربية وقيمها وثقافتها، وتأثيراتها السلبية على المجتمعات الإسلامية، "فقد قضت المادية وحبّ الدنيا، والخوض في متاع الحياة، والتنازع للبقاء، والمقاييس المصطنعة، والمثل المفروضة، والسعي الحثيث وراء الحصول على الأغراض والأهداف التافهة، على المشاعر الرقيقة والشعور بالفراغ الروحي، وعواطف الخضوع لله، ولذلك فإنّهم (الغربيون) — رغم جميع استعداداتهم وصلاحياتهم العقلية وقوّة إرادتهم وشعورهم بالمسؤولية، ونظامهم وتمسّكهم بالأصول، وكثير من الحسنات فيهم — محرومون من الحركات الروحية الصحيحة، والفُتوح الدينية، وإنّ هذه الأرض المليئة بالمتخصّصين في كلّ فنّ خالية تمامًا من الربّانيين، وقد صدق الدكتور محمد إقبال المطلّع على خفايا هذه الحضارة إذ قال عن الغرب: إنّ هذا الوادي الأيمن لا يليق بـــ"التجلّي" ولا يستأهل له" (٤٩).

ومضمون السيرة حافلٌ — أيضًا — بالحديث عن الأوضاع السياسية، والحركات الدينية، والأحزاب الوطنية، في بلاده الهند خاصّة، وفي البلاد العربية والإسلامية التي زارها وأحبّها، وهو يحرص دائمًا على ذكر الأحداث التي شارك فيها، وأثّر فيها تأثيرًا مباشرًا، ويعبّر عن انطباعاته وآرائه تجاهها، ويقدّم رؤيته النقدية بشأنها بمنهجه المعتدل المتوازن، الذي يتجنّب الصدام مع الآخرين، ويمقت التعصّب والتطرّف في المواقف والآراء (٥٠).

والسيرة حافلةٌ بقضايا العلم والعلماء، فيأتي الحديث الدائم عن الأوساط العلمية والأدبية بهدف تسليط الضوء على مشاركاته العلمية في التأليف، والظروف التي أسهمت في نشاطه وإبداعه، رغبةً منه في إطلاع القارئ على جوانب من ثقافته وآرائه، وإشراكه في تذوّق أعماله الكثيرة التي قد يتعسّر الحصول عليها، وأمّا الحديث عن العلماء فقد اتّجه الشيخ إلى ذكر العلماء الذين التقى بهم في حياته، وما من عالمٍ أو مفكّرٍ أو أديبٍ حظي بلقائه إلاّ وكتب انطباعًا عنه، ويستثمر الشيخ هذا الموضوع استثمارًا فريدًا في مجال الدعوة إلى الله، وتقديم النصح والإرشاد، ونقد مظاهر السلبية والتخلّف (٥١)، ولذلك لم يكن مستبعدًا منه — وهو المفكّر الداعية – الإطناب في هذا الموضوع، وإغفال بعض القضايا الخاصّة بحياته الشخصية التي يذكرها على عجل، ولهذا الموضوع أهميته الكبيرة في الكشف عن جوانب مهمّة في الحركة الأدبية والعلمية في القرن العشرين.

والتزام الشيخ الندوي بذكر تلك المواقف والأحداث الكثيرة التي عاشها طيلة سبعة عقود تقريبًا أضفى على السيرة عنصري الإطالة والطابع التاريخي في بعض الجوانب، فقد أطال وأسهب في ذكر حوادث من التاريخ رآها جديرة بالذكر، وقد يراها القارئ – الذي لم يعد يحتمل عناء القراءة الطويلة في هذا العصر – مملّة وساذجة.

وأمّا الطابع التاريخي فيظهر في فصول السيرة التي التزمت بالعنونة التاريخية للأحداث والذكريات المهمّة في كثير من الأحيان، وفي تلك المادة التاريخية الكثيرة التي اتّجه الشيخ إلى تقريرها بطريقة مباشرة، رغبةً منه في تسجيل تاريخ الأمّة الإسلامية، ولا سيما تاريخ الملّة المسلمة في الهند وتقييده في سيرته، "لأنّ تاريخ هذه البلاد — في نظره – سيبقى خافيًا على الجيل الجديد من المؤرّخين والكتاب الذين يعيشون في هذه الأوضاع و لم يعرفوها عن كثب و لم يجرّبوها، ويلتبس عليهم لمرور الزمن، وتتضارب وجهات النظر، ويعزّ عليهم الوصول إلى خلفيات الوقائع والأحداث، وردود الفعل والتفاعلات، وأصناف الأفكار والاتجاهـــات، والعواطف التي كانت تختلج في النفوس" (٥٢)، وهذا الالتزام بتقييد التاريخ سيمنحُ السيرة أهمّية

كبيرة عند المؤرخين ودارسي المجتمعات وتطوّرها، ولكنّه في نظر النّقاد والمهتمين بالأدب سيضعفها من الناحية الفنية، وسيكون على حساب المتعة الأدبية التي هي شرط أساسي في فنّ السير والتراجم الذاتية.

نقد السيرة من الناحية الفنية

لم يتّجه الندوي إلى عرض سيرته بطريقة قصصية فنية خالصة كما فعل طه حسين في "الأيام"، والعقّاد في "سارة"، وتوفيق الحكيم في "عودة الروح"، والمازني في إبراهيم الكاتب، لأنّ هذه الطريقة تحتاج إلى النسيج القصصي الذي يقوم على عنصر الخيال الذي هو من طبيعة القصّة، والخيال قد يحدثُ تغييرًا في الواقع يتلاءم مع الجوانب الفنية للقصّة، ولكنّه لا يعطي القصّة في العادة صورة حقيقية متكاملة عن حياة كاتبها والأحداث الحقيقية التي عاشها، ولذلك كانت هذه الطريقة غير ملائمة لشخصية الشيخ العالم المعروفة بالجدّ والإيجابية والواقعية الإسلامية، والبعيدة عن دنيا الأحلام وأودية الخيال، فالشيخ حريصٌ على تقديم حياته الحقيقية، وتجربته الصادقة، ورؤيته الحيّة بأسلوب أدبي مؤثر إلى القراء؛ لتكون زادًا للعظة والاعتبار، ودافعًا إلى العمل والفاعلية وعلوّ الهمّة، ومعينًا على قيم الإيمان بالله تعالى، وحسن الظنّ به في الباطن والظاهر.

وطبيعة هذا المنهج السردي الممزوج بالنقد والتأمّل والتحليل، الذي اختاره تقتضي منه اللجوء في كثير من الأحيان إلى الأسلوب التقريري، وهو الشيء الذي يُضعف السيرة من الناحية الفنية، ويفقدها عنصر الإمتاع في بعض جوانبها، لكنّ الالتزام عند الأديب بقضية المضمون يُلجئه إلى السرد والتلقين المباشر أحيانًا كثيرة، رغبةً منه في توصيل فائدة، وتقرير حقيقة، وتوضيح عبرة، ومع ذلك لا تخلو السيرة في بعض جوانبها من توظيف الأسلوب القصصي الذي يصف الوقائع والأحداث، مع توظيف بعض القصص التي يسوقها الشيخ لأخذ العبرة، أو لنقد الواقع المعاش.

ولعلّ العنصر المهمّ في سيرة الشيخ الأسلوب الأدبي المرسل، وهو الغالب على السيرة في جميع أجزائها، وهو الجانب الفنّي الذي قد يمنحُ السيرة قبولاً عند النّاس، فالحقائق التي يعرض لها قد تكون معروفة عند بعضهم، ولكنّ طريقة عرضها بالأسلوب العفوي السلس الجميل الذي يملك النفوس ويحرّكها هي التي توحي بالصدق، وتجذب القارئ إلى استيعابها وتذوّقها.

ويظهر الطابع الأدبي للسيرة في جانب آخر هو الوصف، ففي السيرة وصفٌ للأشخاص والعلماء، ووصف للأماكن والبلدان، ووصف للبيئة وللعادات الاجتماعية كأنها مشاهدة، وفيها فوق ذلك وصفٌ لمشاعر الكاتب وانطباعاته واعترافاته، وهو الجانب الذي يمنح القارئ فرصة الاطلاع على الجوانب الخفية، وطرائق التفكير عند هذه الشخصية العلمية التي تحسن التعامل مع المواقف والمشكلات الطارئة، انظر إليه وهو يصف موقفه عند لقائه الدكتور (أمبيدكر) — وهو من كبار الحقوقيين والسياسيين في الهند _ بهدف دعوته إلى الإسلام، قال:"كنت بعد ما نزلت (بومبائي) كلّما ذكرت هذه المهمّة لأحد ضحك وحدّق فيّ، وصعّد بصره ونزل، وقد سألت — بحيطة بالغة، وسرّ وإخفاء — عن بيت الدكتور أمبيدكر، وكان (الترام) موجودًا في (بومبائي) حينئذ، فأخذت هذه الكتب والرسائل التي جئت بها من لكهنؤ، وركبت (الترام) وغدوت إلى بيته، كانت الساعة السابعة أو الثامنة صباحًا، فقيل لي: إنّه راح يتنزّه ويتمشّى، ورأيت في غرفة الانتظار أناسًا كثيرين جالسين صفوفًا، فاستصغرتُ نفسي في جنب هؤلاء الزوار، وتضاءلتُ أمامهم، ولكن فوضتُ الأمر إلى الله وجلست، وما إن استقر بي المقام حتى دخل الدكتور البيت، مفتول الجسم مع السّمن، معتدل القامة، أسمر اللون يميل إلى البياض، وفي يده عصاه، ألقى نظرةً خاطفةً على الزوار، وأشار إليّ أن تعال، فذهب بي إلى غرفة مطالعته وأشار بالجلوس، ورأيت في الكتب التي كانت على الطاولة ترجمة القرآن الكريم (لبكتهال)، وكان فيها بيرق يدلّ على أنّه قرأ إلى الموضع الفلاني، وكنت قد خطّطت في نفسي لحديثي، فكنت مطّلعًا على مكانتي المتواضعة وصلاحيتي الضعيفة، لذلك كنت عزمت على نفسي على أنّني سأكون صريحًا بسيطًا معه في الحديث كمسلم ساذج، وداعية صرف لا أمزج كلامي بأي إغراء سياسي أو اجتماعي" (٥٣).

ويرسم الشيخ صورًا حيّة لطفولته، وتقوده الصراحة إلى رسم البيئة التي عاش فيها، ويعترف بأنّ طفولته لم تكن مرجوةً تُعلّق عليها في ظاهر الأمر الآمالُ الكبارُ، بل كانت طفولة بائسة لا تبعث الآمال ولا تبشّر بمستقبل زاهر، بل إنّ كثيرًا من أترابه وأطفال الأسرة كانوا يفضلونه بصفة عامة في الذكاء والشعور، ثمّ يفاجئ القارئ بعد ذلك بأنّ ذلك جاء بفائدة كبيرة بعد أن أفرغت والدته ما في كنانتها من أدعية وابتهالات واجتهاد في تربيته وصلاحه وتحصيله للعلم وقبوله عند الله (٥٤).

والالتزام بنقل التجربة إلى الآخرين في عمل أدبي هو الغاية التي هدف إليها الشيخ الندوي في سيرته، وهو بذلك يدعو إلى المشاركة الإيجابية بمعرفة آرائه ومواقفه من الأحداث من خلال شهادة خاصّة على العصر، ورؤية ذاتية يرى في توصيلها إلى القراء مناسبة قد تُسهم في التأثير والبناء والتغيير، ووسيلة قد تساعد على قراءة الماضي، واستشراف آفاق المستقبل.

الأسلوب وطريقة العرض

أسلوب الكاتب في سيرته مترسّلٌ عفوي، بعيدٌ عن التكلّف والزخرفة والتصنّع، وكأنّه قطعةٌ من صاحبه، ذلك أنّ الشيخ –كما عُرِفَ عنه – كان منحازًا بنفسه جانبًا عن التكلّف في أساليب الحياة، وكان ميّالاً إلى التقلّل والزهد في عالم الأشياء، وأسلوبه الطبعي الفطري في الكتابة هو الذي قرّب كتاباته إلى النّاس، و"كلّ متتبع لما يكتب يشعر بأنّ لعباراته الأدبية سحرًا لا يتوافر في العادة إلاّ للعلية من أصحاب المواهب، الذين تعمّقوا سرّ الكلمة، وتفاعلوا به، وكان لقلوبهم أكبر الأثر فيما يصوغون، وتلك هي الخاصّة الرئيسية التي يمتاز بها أبدًا أولو الأذواق الروحية من المتخرّجين في مدرسة القرآن" (٥٥).

وفي السيرة ثلاث مستويات من الأسلوب، "الأول: الأسلوب المرسل الذي يأخذ طريقة الحكاية بضمير المتكلّم، وهو الغالب على السيرة بأجزائها الثلاثة، والثاني: الأسلوب العلمي، أو القريب من العلمي، وهو الأسلوب المباشر ذو الألفاظ المحدّدة المدلول، ويعتمد على التحليل والتحديد والتقويم، ويخاطب العقل، ويهدف إلى الإقناع، والثالث: الأسلوب الأدبي

الرفيـــــع، وهو التعبير الجمالي المؤثّر في الآخرين" (٥٦)، ويظهر هذا النوع الأخير من الأسلوب في مواقف حياتية خاصّة هزّت عاطفة الكاتب، وحرّكت وجدانه، فمن ذلك ما كتبه عن موت أبيه وهو طفلٌ صغير، قال:"كان منهم من يجلسني حبًّا وشفقة بجنبيه، ومنهم من يضمني إلى صدره، ومنهم من يمسحني حبًّا وحنانًا، كانت العيون تدمع، والقلوب ترقّ وتحنّ، أمّا الذي كان يستحقُ هذه التعازي ويقدر على شكرها، وإيفاء الموقف حقّه وهو أخي الأكبر، فقد كان على مسافة ألف ميل في "مدارس"، ولم يكن عنده أي فكرة عن الحادث" (٥٧).

ولعلّ من عناصر التجديد في سيرته هذه جانب الأسلوب، فهو أسلوب واضحٌ بسيط، جميل ممتع، يأخذ القارئ في سياحة فكرية ممتعة في عالم الأفكار والقيم، ويسير به عبر محطّات تاريخية محدّدة، فيها وصفٌ للمناطق والمدن والأقطار، وحديثٌ عن العلماء والزعماء والأشخاص، وتقويمٌ للبيئة والعادات، وللأعراف والسلوكيات، وهو يستثمر المناسبات واللحظات ليحبّب إليه العقيدة والإيمان، ويبثّ في نفسه روح العمل والجدّ والنشاط، ويعلمّه حقيقة التوكلّ، وعلوّ الهمة في اتخاذ الأسباب، ومعرفة السنن في الكون والآفاق.

وأسلوبه البسيط الهادئ يشعر القارئ بالصراحة والصدق، ويمنحه نوعًا من الانطباع الجميل عن صاحبه، وكأنّه قد عايشه وعرفه عن قرب، وسبب ذلك كلّه التزام الشيخ بعقيدته وثقافته الإسلامية، وصدقه وإخلاصه في التعبير، فالكلام إذا خرج من القلب فلا يستقر إلاّ في قلب، فضلاً عن إيمانه برسالته، وصفاء نفسه، وكثرة اشتغاله بالله، وعزوفه عن الشهوات في عالم الأشياء، وطموحه وتفاؤله، ونظرته الإيجابية إلى الحياة، فالأديب الملتزم شاهد على النّاس بقوّة الأدب ونظافته، ونبل الفنّ في وسائله وأهدافه.

وختامًا نقول: لقد اهتم الشيخ الندوي – الأديب الناقد – بالنقد وأهمّية التزامه برسالته، ودعا إلى تأصيله وتطبيقه وأسلمته، حتى يؤدي وظيفته ودوره في حراسة القيم والمبادئ الإسلامية، ويحفظ للأمة الإسلامية روحها الدينية والحضارية والثقافية، وكان كتابه في مسيرة الحياة من أفضل النماذج الأدبية الإسلامية في مجال السيرة الذاتية، فرحم اللهُ عميد الأدب الإسلامي، وجزاه خيرَ ما يجازي به عباده الصالحين المجاهدين.

الهوامش والتعليقات

(١) نشرت أعمال هذه الندوة في كتاب بعنوان "الأدب الإسلامي فكرته ومنهاجه"، ط١ الأمانة العامة لندوة الأدب الإسلامي العالمية، لكناؤ الهند ١٩٨١م.

(٢) انظر الغوري، عبد الماجد، العلامة أبو الحسن الندوي ونظراته وتأملاته وجهوده في الأدب الإسلامي، ط١ دار ابن كثير بيروت ٢٠٠٠م.

(٣) انظر مجلة البعث الإسلامي (لكنهؤ الهند) – العدد ١ المجلد ٤٦ ، رمضان ١٤٢١هـ — مقال" أبو الحسن الندوي سفير العجم إلى العرب" — يوسف القرضاوي — ص ٧٩.

(٤) انظر قصّاب، وليد، في الأدب الإسلامي، ط١ دار القلم دبي الإمارات ١٩٩٨م، ص ٩١،٩٢

(٥) عن المرجع السابق، ص ١٠٥.

(٦) انظر القبسي، عودة الله منيع، تجارب في النقد الأدبي التطبيقي، ط١ دار البشير عمان الأردن ١٩٨٥م، ص ٢٢.

(٧) ساعي، أحمد بسام، الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد، ط١ دار المنارة جدّة ١٩٨٥م، ص ٣٥.

(٨) حسين، محمد بن سعد، الالتزام الإسلامي في الأدب وبحوث أخرى، ط١ مطابع الفرزدق الرياض ١٩٨٤م، ص ١٣.

(٩) في النقد الإسلامي المعاصر، ط مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٤م، ص ١٦٤.

(١٠) الندوي، أبو الحسن، نظرات في الأدب، ط١ دار البشير عمّان ١٩٩٠م، ص ٢٢.

(١١) نفسه: ص ٣٥.

(١٢) نفسه: ص ١٠٥.

(١٣) نفسه: ص ٣٢.

(١٤) نفسه: ص ٣٦.

(١٥) انظر الكيلاني، نجيب، مدخل إلى الأدب الإسلامي، ط ١ قطر الدوحة (كتاب الأمة) ١٩٨٧م، ص ٧٦.

(١٦) بدر، عبد الباسط، مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي، ط١ دار المنارة جدّة ١٩٨٥م، ص ٤٦.

(١٧) نظرات في الأدب: ص ١٠٥.

(١٨) نفسه: ص ١١٣.

(١٩) انظر الندوي، أبو الحسن، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ط دار الكتاب العربي بيروت ١٩٧٨م، ص ٢٧٥، ٢٧٦.

(٢٠) نفسه: ص ٢٧٧.

(٢١) الإسـلاميات في كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، ط مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٣م، ص ١٢، ٢٢.

(٢٢) الكيلاني، نجيب — آفاق الأدب الإسلامي، ط مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٧م، ص ٨٥.

(٢٣) الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين: ص ٨٠.

(٢٤) الطريق إلى السعادة والقيادة للدول والمجتمعات الإسلامية الحرة، ط مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٨م، ص ١٤٣.

(٢٥) الغندور، عبد الصبور السيد، الأدب الإسلامي مفهومه ومقوّماته وطريقة تدريسه، ط١ ضمن كتاب "نحو أدب إسلامي"، جامعة أم القرى مكة المكرّمة ١٩٨٧م، ص ٣٠.

(٢٦) الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، قضايا حول الشعر العربي والأدب الإسلامي، ط١ ضمن كتاب "نحو أدب إسلامي"، جامعة أم القرى مكة المكرّمة ١٩٩٨٧م، ص ٧٧.

(٢٧) انظر العمري، أكرم ضياء، قيم المجتمع الإسلامي من منظور تاريخي، ط قطر الدوحة (كتاب الأمّة)، ص ٥٢.

(٢٨) نفسه: ص ٥٢.

(٢٩) نحو التربية الإسـلامية الحرة في الحكومـات والبلاد الإسلامية، ط مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٧٨م، ص ٩.

(٣٠) نفسه: ص ١٠، ١١.

(٣١) نفسه: ص ١١.

(٣٢) أحاديث صريحة مع إخواننا العرب والمسلمين، ط مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٧م، ص ٦٥.

(٣٣) ربانية لا رهبانية، ط مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٧م، ص ١٤ ، ١٥.

(٣٤) الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد، ص ٢٤.

(٣٥) عباس، إحسان، فنّ السيرة، ط١ دار الشروق عمّان ١٩٩٦م، ص ٥.

(٣٦) نفسه: ص ٨٥.

(٣٧) انظر فن السيرة: ص ١٣١ وما بعدها.

(٣٨) في مسيرة الحياة، ط١ دار القلم دمشق ١٩٨٧م، ج١ ص ١٧.

(٣٩) نفسه: ج١ ص ٦.

(٤٠) نفسه: ج١ ص ٩.

(٤١) نفسه: ج١ ص ٢٢.

(٤٢) نفسه: ج١ ص ٢٣.

(٤٣) نفسه: ج١ ص ٢٥.

(٤٤) نفسه: ج١ ص ٢٤.

(٤٥) نفسه: ج١ ص ٢٤.

(٤٦) نفسه: ج١ ص ٢٣.

(٤٧) نفسه: ج١ ص ١١٣.

(٤٨) نفسه: ج ١ ص ١٢٩

(٤٩) نفسه: ج١ ص ٢٩٦.

(٥٠) انظر مثلاً بعض مواقفه في بلاده الهند منها مقابلته لرئيسة الوزراء أنديرا غاندي، في مسيرة الحياة: ج١ ص ٣٦٥ – ٣٧٤.

(٥١) انظر مثلا نقده للأزهر في "في مسيرة الحياة": ج١ ص٢٢٤، ٢٢٥.

(٥٢) نفسه: ج٣ ص ٦.

(٥٣) نفسه: ج١ ص ١٢٢.

(٥٤) نفسه: ج١ ص ٧٤.

(٥٥) المجذوب، محمد – علماء ومفكرون عرفتهم، ط٢ عالم المعرفة جدّة ١٩٨٣م، ص ١٣٨.

(٥٦) قميحة ، جابر، في مسيرة الحياة: الأبعاد والمنهج، مجلة الأدب الإسلامي، مجلد٧، العددان: ٢٦،٢٧، ١٤٢١هـ، ص ٩٠.

(٥٧) في مسيرة الحياة، ج١ ص ٧٠.

المصادر والمراجع

١- بدر، عبد الباسط، مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي، ط١ دار المنارة جدّة ١٩٨٥م،

٢- حسين، محمد بن سعد، الالتزام الإسلامي في الأدب وبحوث أخرى، ط١ مطابع الفرزدق الرياض ١٩٨٤م،

٣- خليل، عماد الدين، في النقد الإسلامي المعاصر، ط مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٤م،

٤- ساعي، أحمد بسام، الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد، ط١ دار المنارة جدّة ١٩٨٥م

٥- عبّاس، إحسان — فنّ السيرة — ط١ دار الشروق عمّان، ١٩٩٦م.

٦- العمري، أكرم ضياء — قيم المجتمع الإسلامي من منظور تاريخي، كتاب الأمة، الدّوحة، قطر.

٧- الغندور، عبد الصبور السيد، الأدب الإسلامي مفهومه ومقوّماته وطريقة تدريسه، ط١ ضمن كتاب "نحو أدب إسلامي"، جامعة أم القرى مكة المكرّمة ١٩٨٧م، ص ٣٠.

٨- الغوري، عبد الماجد، العلامة أبو الحسن الندوي ونظراته وتأملاته وجهوده في الأدب الإسلامي، ط١ دار ابن كثير بيروت ٢٠٠٠م.

٩- القبسي، عودة الله منيع، تجارب في النقد الأدبي التطبيقي، ط١ دار البشير عمان الأردن ١٩٨٥م، ص ٢٢.

١٠- القرضاوي، يوسف — أبو الحسن الندوي سفير العجم إلى العرب- مجلة البعث الإسلامي (لكنهؤ الهند) — العدد ١، المجلد ٤٦، رمضان ١٤٢١هـ.

١١- قصّاب، وليد، في الأدب الإسلامي، ط١ دار القلم دبي الإمارات ١٩٩٨م، ص ٩١،٩٢

١٢- قميحة، جابر، في مسيرة الحياة الأبعاد والمنهج، مجلة الأدب الإسلامي، مجلد٧، العددان: ٢٦،٢٧، ١٤٢١هـ،

١٣- الكيلاني، نجيب:

(١) مدخل إلى الأدب الإسلامي — قطر، كتاب الأمة، الدوحة، ١٩٨٧م.

(٢) آفاق الأدب الإسلامي — ط مؤسسة الرسالة بيروت، ١٩٨٧م.

١٤- المجذوب، محمد — علماء ومفكرون عرفتهم — ط٢ عالم المعرفة، جدّة، ١٩٨٣م.

١٥- الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، قضايا حول الشعر العربي والأدب الإسلامي، ط١ ضمن كتاب "نحو أدب إسلامي"، جامعة أم القرى مكة المكرّمة ١٩٩٨٧م، ص ٧٧.

١٦- الندوي، أبو الحسن الحسني:

(١) أحاديث صريحة مع إخواننا العرب والمسلمين — ط مؤسسة الرسالة بيروت، ١٩٨٧م.

(٢) الإسلاميات في كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين — ط مؤسسة الرسالة بيروت، ١٩٨٣م.

(٣) ربانية لا رهبانية — ط مؤسسة الرسالة بيروت، ١٩٨٧م.

(٤) روائع إقبال — ط المجمع العلمي ندوة العلماء، لكهنؤ، الهند.

(٥) الطريق إلى السعادة والقيادة للدول والمجتمعات الإسلامية الحرّة – ط مؤسسة الرسالة بيروت، ١٩٨٨م.

(٦) في مسيرة الحياة – ط١ دار القلم دمشق، ١٩٨٧م.

(٧) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين – ط دار الكتاب العربي بيروت، ١٩٨٤م.

(٨) نحو التربية الإسلامية الحرة في الحكومات والبلاد الإسلامية – ط٥ مؤسسة الرسالة بيروت، ١٩٧٨م.

(٩) نظرات في الأدب – ط١ دار البشير عمّان، ١٩٩٠م.